نـافـذة

قنبلة الزبالة

لا يضاهيها في حجمها أي قنبلة، فقد تصل إلى آلاف، بل مئات آلاف الأطنان، أما قوتها فأيضاً لا تعادلها قوة الذري ولا النووي، لذلك نجد أن العقل يحار أمام أبسط الأشياء المعرفة، وكثيراً لا ينتبه إلى نتائجها الكارثية والمرعبة في حال تجاوزها للحدود. والإنسان الذي وصل من إبداعه إلى القمر والمريخ، وإلى تطور وإنتاج وتحضر وتألق وتأنق وتهذيب ونظافة، بدءاً من الجسد وهندامه، مروراً بالمنزل والمكتب والمعمل والشوارع التي تخترق المدن والبلدان، عبدها وأوجد على أطرافها صناديق وحاويات تجمع زبالته الناتجة عن قيامه بالأنشطة المنزلية والعملية، الزراعية والصناعية، وأهمها مخلفاته الشخصية المنتجة عن طعامه وإطعامه وشرابه، والتي عليه يومياً أن يقوم برميها، لا من النوافذ، بل أن يعتلها إلى الحاويات وإلا؟ هذا أولاً. وثانياً مخلفاته الشخصية التي تذهب إلى المجاري، ونطلق عليها الصرف الصحي في مجموعها نطلق عليها نفايات مخلفات صلبة أو سائلة قمامة، وما هي إلا زبالة بشرية ينتجها الإنسان بعد استثمارها إلى أقصى مدى، ومن ثم خروجها منه وعنه، ومن باب العلم، إن عمليات النظافة وعمالها موجودون ضمن فلسفة البناء الكوني من الجنان، وتخصص نوع الملائكة، بهذا الشأن إلى الفضاء، ووجود حالات تقوم بتنظيفه، تتحول بالتقادم إلى كواكب، بعد أن تجذب كامل مخلفات الفضاء إلى البحار، ووجود بعض الأسماك التي لا تنمو إلا على الزبالة، وتسمى سمكة الزبال، ومن يمتلك حوضاً منزلياً للأسماك فلا بد له أن يضم إلى أسماكه هذه السمكة، والإنسان تخصص البعض منهم، ليقوم بهذا العمل النبيل الذين نطلق عليهم زبالة، أو عمال النظافة، ولولا كل أولئك الذين ذكرتهم لتدحرجت كرة الزبالة، وتحولت إلى قنبلة تنهي كل شيء بسبب فساد كل شيء، بدءاً من الإنسان، وانتهاءً بالوجود.

هلّا تأملنا هذا العنوان، وتوقفنا عنده قليلاً، وتفكرنا به بتؤدة، ألا نجد أن إهماله يحمل كل الخطورة والتهاون فيه، أو معه يؤدي إلى نتائج رهيبة ومرعبة، يقول المثل الشعبي: (إذا جارك حلق ذقنه بل ذقنك)، طبعاً الذي دعاني لكتابة هذا الموضوع ما يحصل عند جوارنا، وقنبلة النفايات أي الزبالة وروائحها، وكيف تكاد تعصف ببلد جميل من خلال روائحها وآليات تحولها والتصاقها بالمسؤولين عنها ساسة واقتصاديين، وشعاراتها المحمولة والمكتوبة والمرئية، وأهمها طلعت رائحتكم، فماذا يعني هذا الذي يجري وهو ليس بالبعيد عنا، وحينما نسمح لأفكارنا بقراءة ما يجري في تلك الساحة، فكيف نحللها، وأعتقد أن علينا أن نبدأ بتحليل دقيق لمكونات هذه القنبلة المرعبة والمذهلة، حيث نجدها تبدأ من نظافة اليد المرتبطة بالضمير الحي، الذي لا يسمح أبداً بدخول الجراثيم إلى العقل، ولا أن تتطور حتى تغدو زبالة، تسكن جوهره، ومن ثم إلى نظافة منزله، وامتلاكه لمعايير وأسس النظافة، فهل يستطيع كائن من كان، أن يترك زبالته ليومين، وكلنا يعلم ما الذي يجري من ظهور للروائح والفطريات والبرغش، وأيضاً هل هناك من منزل حتى وإن بلغت دقة صناعته وجماله وفرشه وهندسته، إلا وبه حمام ومرحاض ومصرف شطف، مهما كان كبيراً أو صغيراً، كوخاً أو قصراً منيفاً، في النتيجة تجتمع قمامة الفقير مع قمامة السياسي، مع قمامة حاجبه وخدمه وحشمه في مكب واحد، وعندما تظهر روائحها يعلم المحيط، أن هناك حالة مقززة أيضاً، ينفر منها الجميع، وربما تصل إلى حد القرف، فكيف يكون التصرف والمصارف مغلقة، أي مصارف الصرف الصحي، وليس هناك من أماكن لدفن الزبالة أو حرقها، أو استثمارها بالشكل الأمثل، بحكم وجود تقنيات للمعالجة عالية الدقة، وتنعكس بالفائدة، ليس على الفرد إنما على المجتمع والدولة والأمة والأمم، حيث تستنبط منها الطاقة الكهربائية التي تحتاجها بلادنا والطاقة الحرارية، ناهيك عن تحويلها إلى أسمدة وأدوية زراعية وبشرية. وكما هي الحاجة الدائمة لمراقبة مخلفات الإنسان يدعونا الأمر لمراقبة أنفسنا، وتفعيل رقابة الأجهزة المعنية على أدائنا، ومحاسبة ضمائرنا، والعمل الحثيث على جعلها نقية صافية، حتى يعود إليها كل شيء جميل من الإله، إلى الأفعال، وكثيراً ما سمعنا أن فلاناً طلعت رائحته، ومن ثم فاحت، وبعدها انتشرت، فأدت به إما إلى العلا، وإما أخذت به إلى مجاهل السجون وغياهبها، حسب علاقاته ودعمه المتبادل في المصالح أو انعدامها.

تخيلوا معي مدينة أو دولة أو حياً، ما الذي يجري، لو تركت زبالتنا، مخلفاتنا، نفاياتنا، لأيام، ومعه لم تعد تعمل مجاري الصرف الصحي، ألا تغرق المنازل، وتنتشر الروائح، وكما تحدثت، يظهر كل شيء سلبياً، تهرب الناس، وترحل إلى المجهول مع حملها لكل أنواع الأمراض، أليست قنبلة الزبالة مع انسداد المجاري أقوى من قنابل النووي والذري والنابالم والعنقودي والانشطاري؟ أليس كل هذا من صناعة الإنسان، من أجل حياته التي لا تستمر إلا بالطعام والشراب، ومعه نظافته ونظافة مكانه ومحيطه؟ هلّا انتبهنا لما جرى عند جيراننا لأيام؟ لقد أخذ العالم أجمع درساً لا ينساه، وأعاد تفكيره إلى النقطة الأولى بخصوص هذه المسألة، التي نبهت إلى العديد من المسائل المهمة، ومنها مسألة التكاثر وضياع الوعي أمام الأشياء الصغيرة، التي لا نعيرها بالاً في أغلب الأحيان، وتكون سبباً في إحداث الانفجارات الهائلة.

أيها الناس المنتمون لجغرافيا تحترق بالنار، التي أضرمتموها بأفعالكم، والتي اكتويتم، ومازلتم تكتوون بنيرانها، وأخطر ما في الموضوع، أن يتحول الكثرة من الناس إلى زبالة، ونستمع من حوارنا مع بعضنا عن البعض الذين يوصفون بالزبالة، فنقول أو يقولون: اتركهم ناس زبالة، أف لهم، طلعت رائحتهم، لنبتعد عنهم، أو نكنسهم، والغاية الأولى والأخيرة هي النظافة، نظافة جوهر الإنسان قبل مظهره، نظافة المسؤول قبل تعطره، نظافة الإيمان بالإنسان قبل تدينه، نظافة الوطن الذي يدعونا إليه الواجب، ليبقى نظيفاً، لا تشوبه شائبة، فالمهلة التي منحها جيراننا لدولتهم ومسؤوليها، ليست بالطويلة، وأعتقد أن علينا الإصلاح فوراً، ومن دون مهل.

د. نبيل طعمة

«كواليس المبدعين» قراءة في سير المشاهير

اقتفاء الخطوات العملاقة والمكانة الأدبية العالية

| عامر فؤاد عامر

اعتدنا في جزء مما يقدّمه الكاتب «هاني الخيّر» ملاحقة سير ذاتيّة لمشاهير محليين وعالميين، فنطّلع على أخبارهم وقصص تخصّهم في أسلوب مبسّط، وجميل، وقريب من الفهم دائماً، لكن ما يميّز أسلوب «هاني الخيّر» أيضاً أنه يتطرق لتفاصيل لا يقترب منها كتّاب السيرة الذاتيّة، أو الباحثون، والمختصون في الاهتمامات نفسها، فنرى في كتاباته مقارنات مهمّة، يستنتجها في إحاطة كليّةً عن حياة الشخص، وإلقاء الضوء على نوادر لا تخطر على بال الكتّاب في ذكرها، واليوم لدينا مؤلف «كواليس المبدعين» الذي يتميز أولاً بجمعه لعدد كبير من مشاهير الأدب العربي، وعالم الشعر، والرواية، والفكر، من أرجاء الوطن العربي كله.

نزار قباني

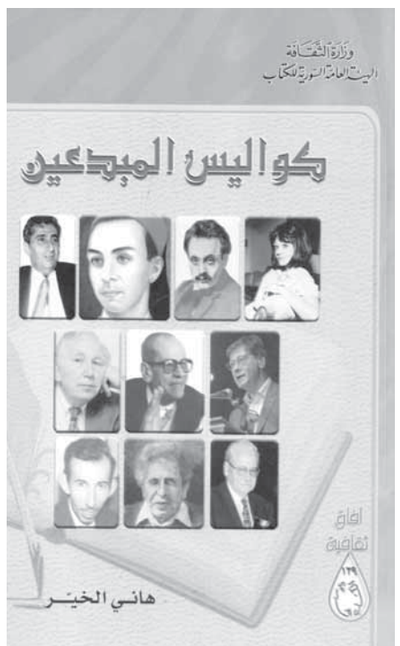

جبران خليل جبران

أعلام ومشاهير

جاء الكتاب في سلسلة آفاق ثقافية ١٢٩، الذي تصدره وزارة الثقافة والهيئة العامة السوريّة للكتاب، في بداية مطلعها مع أسماء وأعلام مهمّة أمثال: «نزار قباني»، و«عبد الحق حداد»، و«محمود درويش»، و«الأخطل الصغير»، و«ميخائيل نعيمة» ومروراً على مجموعة كبيرة من الأسماء منها: «عرار»، و«خليل حاوي»، و«صالح الشرنوبي»، و«أمين نخلة»وغيرهم، ونهايةً بأسماء كـ«إحسان عبد القدوس»، و«محمد شكري»، و«حنّا توفيق بشّور»، والمزيد من الأسماء التي لا يسعنا ذكرها جميعاً.

الهدف

ومما جاء في مقدمة الكاتب الموجّهة للقارئ: «... غاية ما تطمح إليه هذه الصفحات مجتمعة، أن تكون دليلاً نظرياً ومرشداً أميناً، للغوص بسلالة في أجواء هؤلاء الأعلام ونفسياتهم وعوالمهم، من أدباء وشعراء وروائيين ومؤرخين ومفكرين، من ذوي القامات العالية في الحياة الثقافية العربية. وكذلك التعريف بخفايا حياتهم، ورحلة كفاحهم المضني، وإنجازاتهم الإبداعية، من دون أن نخدش كرامة أحد».

نوادرهم ونقاط حسّاسة

وإليكم بعض المقتطفات من الأسماء التي جمعها كتاب «كواليس المبدعين» فالبداية مع الشاعر الكبير «نزار قباني» ومجموعته الشعرية «قالت لي السمراء» وهي المجموعة الأولى من أشعاره التي حملت ٥ رسومات بريشته وإهداء خاصّاً منه لصاحب الكتاب «هاني الخيّر» كما ركز الكاتب على إهداء نزار قباني هذه المجموعة لوالديه. وفي صفحات خصّها بـ«عبد الحق حداد» يقول: «هو من الشعراء السوريين المتميزين الكبار الذين فاتهم قطار الشهرة والنجومية وذيوع الصيت الأدبي على الرغم من أن قصائده الغنائية الوجدانية التي نظمها في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، كادت أن تضاهي أو ربما تفوقت على قصائد الشاعر الكبير نزار قباني». أمّا عن بدوي الجبل «محمد سليمان الأحمد» فيقول: «شاعر العربية بدوي الجبل، ختم بسموه الوجداني ورهافة أحاسيسه الصادقة، وديباجته الصافية، تاريخاً شعرياً كاملاً». وعن محمد مهدي الجواهري يضيف كاتبنا «هاني الخيّر» عن قصيدته البليغة والتي بسببها استقالت وزارة رياض الصلح في لبنان بعد يومين من إلقائها وتشكلت حكومة «حسين العويني» ودشنت هذه الوزارة الجديدة أعمالها بطرد الشاعر الجواهري من لبنان.

بين جبران وميخائيل

من النقاط التي تطرق إليها بصورة غير مباشرة المقارنة بين عميد الأدب المهجري «جبران خليل جبران» وصديقه الأديب «ميخائيل نعيمة» الذي عاصره وكان أحد المقربين إليه حتى في أدق تفاصيل حياته، فيذكر: «.. وقد حاول الأديب ميخائيل نعيمة، أقرب الأصدقاء إلى جبران، بإصرار وعناد تقليده بصورة ما، واقتفاء خطواته العملاقة بحذر واستحياء، وكذلك تشويه سمعته الشخصيّة بعد رحيله بعامين، عندما أصدر كتابه الجديد في موضوعه بالمكتبة العربية تحت عنوان: «جبران، حياته، موته، أدبه، فنه»، ولكنه لم ينجح في ذلك ولم يبلغ مكانته الأدبيّة». وربما هنا تظهر آراء شخصيّة للكاتب «هاني الخير» في المقارنة بين الأديبين، وتعليل سبب كتابة «ميخائيل» لذلك الكتاب تبعاً لأغراضه الشخصيّة، إلا أن العرض المنطقي الذي قدّمه « ميخائيل نعيمة» في ذلك الكتاب كان منصفاً جدّاً، إذ لا يمكن لـ«جبران» أن يكون ملاكاً، ويحيا حياة بشريّة بلا أخطاء فيها، فهو في النهاية إنسانٌ مثلنا.

> إلقاد الضوء على نوادر لاتخطر على بال الكتاب ولا يذكرونها في كتاباتهم

نتاج أخير لميّ زيادة

عن مي زيادة وكتابها المفقود يذكر كاتبنا التالي: «... وأخذ ميلها إلى الوحدة السعيدة يظهر في سلوكها العام، بعد أن فقدت أبويها، وكذلك فجعت بوفاة صديقها جبران خليل جبران. ويبدو أن بعض أقاربها وهم من الدرجة الثانية، قد طمعوا بالاستيلاء على ميراثها الضخم، والعقارات المسجلة باسمها في لبنان، فتصدت لهم بقوة، فهددوها بالانتقام السريع إذا لم ترضخ لهم، فكان لهم ما أرادوا، وأعادوها بالخديعة إلى لبنان وطنها الأول، ووضعت في مصح للأمراض العقلية، فوقع الاختيار على مستشفى «العصفورية»، فكتبت ضمن أسواره انطباعاتها وخواطرها الغريبة التي جمعتها في كتاب أطلقت عليه اسم: «ليالي العصفورية»، الذي بقي حتى هذا اليوم مجهول المصير، ويبدو أن صديقة مخلصة لها أخفته، لاعتقادها بأن هذا الكتاب سيشوه سمعتها الشخصية أمام الأجيال القادمة».

عنوان

يمتلئ الكتاب بالمزيد من الذكريات ومن التفاصيل الحياتيّة التي تخصّ مبدعين عشقنا أسماءهم وتمتعنا بإنتاجاتهم، فكان بين يدينا كتاب «كواليس المبدعين» وهي لفته سريعة من الكاتب تحمل الإضاءات التي قد لا يتوقف عندها الكثير من كتّاب السيرة الذاتيّة، إلا أن الاطلاع عليها يبدو ممتعاً في التعرف على جوانب خفي على الكثيرين التعرف إليها والتعاطي معها وعن دوافع وجودها ولماذا كانت، فهي في الحقيقة محرض غير مباشر في حياة المبدع لتقديم إنتاج فريد يختزل مجموعة من التجارب والضغوطات والخبرات والممارسات التي عاش فيها هؤلاء.

١٠ سنوات من التجسس الأميركي على ري برادبيري

الخيال العلمي ميدان خصب للتجسس يزيد في حجمه عما تم في الثقافة والفن

| مها محفوض محمد

إذا أراد الزائر للعاصمة الأميركية واشنطن التعرف على متاحفها ظناً منه أنه سيشاهد قيمة تراثية ما أو موروثاً ثقافياً غنياً كالذي يراه في المتاحف التي تقوم بعرض التراث الحضاري والتاريخي الإنساني لبلدانها بطريقة ممتعة والتي تلعب دوراً مهماً في إيصال المعلومة الصحيحة للزائر حول تاريخ البلاد وتراثها فإن الزائر لأي متحف في واشنطن يقف بداية أمام بناء ضخم مدهش في بنائه وزخرفته من الخارج لكن ما إن يلج إلى داخل المتحف حتى يخيب أمله في ما لا يرضي فضوله، فمن متحف التاريخ الطبيعي الذي يزخر بأكبر مجموعة من عظام وجماجم الهنود الحمر إلى باقي المتاحف التي جلبت محتوياتها وسرق أغلبها من متاحف شتى في العالم، فهذه الدولة العظمى التي لا تمتلك حضارة متاحفها عامرة البناء فقيرة المحتوى، عدا متحف واحد لديها هو متحف الجاسوسية المتحف الوحيد الذي يقدم صورة حقيقية عن حضارة أميركا في التجسس على العالم ويعرض تحفاً أصلية من أدوات التنصت والأجهزة المختلفة التي استخدمت في عمليات التجسس الأميركي ما يستدعي دقة الملاحظة لدى الزائر – ومدير المتحف بالطبع هو أحد عناصر المخابرات المركزية CIA لمدة ٣٥ عاماً- ذلك أن الجاسوسية هي المهنة الأعرق في تاريخ أميركا وحضارتها. وها نحن كل يوم نسمع بفضيحة جديدة تكشف عن عملية تجسس أميركي في بقعة ما من العالم وفي الولايات المتحدة ذاتها ولم ينج حتى المثقفون الأميركيون من تجسس حكومتهم عليهم.

ري برادبيري

فقد كشف جهاز الاستخبارات الفيدرالي FBI منذ أيام عن عملية تجسس قام بها منذ عقود حول الكاتب الكبير ري برادبيري الذي يعد أبرز روائي في أدب الخيال العلمي ويبدو أن أعمال هذا الروائي كانت موضوع تحقيق قاده جهاز الاستخبارات المتنفذ على مدى عشر سنوات من خمسينيات القرن الماضي لدى اشتباه العملاء بأن الكاتب الرؤوي له ميول شيوعية لدى نشره بعض الأعمال التي رأوا فيها أفكاراً خطيرة في تلك الحقبة ما بعد المكارثية (هي اتجاه سياسي هدفه تشديد الرقابة على الشيوعيين وخاصة الموظفين في الدولة واستخدام هذا المصطلح نسبة إلى جوزيف مكارثي للتعبير عن إرهاب ثقافي استخدم ضد المثقفين عام ١٩٥٠) ويبدو أن هذه الأفكار قدمت تبريراً لفتح التحقيق حيث حاولت المذكرات التي قدمها عملاء FBI ونشرتها ديلي بيست أن تنسج علاقة ما بين كتابات الروائي والايديولوجية الشيوعية فصور المحقق أن الهدف العام للكاتب هو تخويف أكبر شريحة من المجتمع ودفعهم إلى الدخول في حالة سبات نفسي قريب من الهيستريا لإكراههم على الاعتقاد أنه إذا وقعت حرب عالمية ثالثة فلا يمكن للأميركيين ربحها وسيخسرون حتماً بعد أن تكون قواهم المعنوية قد دمرت.

بعد أكثر من نصف قرن ولدى قراءة هذه النسخة البوليسية يبدو أن محرري FBI قد خلقوا معتقداً وهمياً مناسباً لروائيي الاستباق حيث كانت محاربة الشيوعية إحدى هواجس CIA وFBI من العام ١٩٥٣ إلى العام ١٩٧٥ أي في مرحلة المكارثية ومع نهاية حرب فيتنام حيث تم اتهام مفكرين وشخصيات بارزة بالانجذاب إلى الشيوعية، فإضافة إلى ري برادبيري وجهت التهمة إلى كل من الكتاب توماس مان وآرثر ميلر وإلى شارلي شابلن والمخرج جيل داسان وألبرت اينشتاين وإلى المناضل مارتن لوثر كينغ وإلى ريجينا ويندر والدة بطل الشطرنج بوري فيشر، والقائمة تطول لكثيرين غيرهم.. وقد علم برادبيري قبل وفاته بوجود هذا التقرير حيث أخبره بذلك سام ويلير أحد كتاب سيرته الذاتية وكان الكاتب الكبير قد أشار إلى ما تقوم به وكالات الاستخبارات من عمليات تجسس قائلاً: لم يكن عندي شيء أخفيه طوال تلك السنين ولن أتأثر بأي عملية خسيسة كهذه.

ري برادبيري هو أعظم كاتب خيال علمي في القرن العشرين وأكثر كاتب مقروء في العالم ولد عام ١٩٢٢ في ووكيغن وتوفي في لوس أنجلوس عام ٢٠١٢ اشتهر بروايته: «فهرنهايت ٤٥١» التي صدرت عام ١٩٥٣ وأحدثت ضجة كبرى ثم أعيد طبعها عشرات المرات لتصبح أكثر روايات الخيال العلمي رواجاً ثم حولتها هوليوود إلى فيلم سينمائي يقدم فيه المخرج الكتب كشخصيات في الفيلم والكتب كلها ممنوعة فيلجأ الناس إلى حفظها عن ظهر قلب وكل من يحفظ كتاباً يعلمه لغيره ثم نرى مشهد احتراق الكتب يتكرر عدة مرات في الفيلم، أما كتابه الآخر «التواريخ المريخية» فهو تحفة في الشعر والإنسانية يروي فيه قصة غزو الكواكب السيارة ما بين الأعوام ١٩٩٩– ٢٠٢٦ حيث يصل مستوطنون من الأرض وتختفي الحضارة المريخية القديمة جداً مع حلول هذه الوقائع.

قدم هذا الكاتب الأسطوري نحو ثلاثين رواية وأكثر من ٦٠٠ قصة ليبقى خلال ستين عاماً الأكثر قراءة.

في لقاء أجرته معه صحيفة لوفيغارو عام ٢٠٠٢ وأعيد نشره منذ أيام يقول: لقد امتلكت حماساً للحياة يتعذر إخماده، أكتب للاحتفاء بالحياة فما إن أنتهي من كتابة قصة أو مقالة أو رواية حتى أقول حسناً أيها الموت لقد تقدمت عليك وعن سؤاله يومذاك عن أحداث ١١ أيلول يقول:

لم تكن هذه سوى واحدة وهذا الحدث التراجيدي لن يلقن قادتنا درساً فهذا التدمير يجب أن يدفع بأميركا لأن تعي أن سياساتها الخارجية جائرة ظالمة إلى أبعد الحدود، كان علينا أن ندفع بالأمم المتحدة لتوظيف مهامها جيداً في الشرق الأوسط ومنذ أن اعترفنا بإسرائيل قبل فلسطين لحق الظلم بملايين الناس، لقد فضلنا مصالحنا على الاهتمام بالآخرين وبناء على ذلك كانت كارثة ١١ أيلول، لقد ضربنا الإرهاب في عقر دارنا كرد فعل على مواقفنا الظالمة التي تستخف بشعوب الشرق الأوسط وأنا ككاتب خيال علمي تصورت كثيراً خلال حياتي هذا المستقبل الحالك المملوء بالضجيج والهيجان ومع غيري من كتاب الخيال العلمي قضينا حياتنا بالتنبؤ بالمصائب والمستقبل الغامض، مع أنني لم أتصور يوماً أن تستخدم طائرة مدنية كسلاح تدمير ولا يمكن أن نحمي أنفسنا ممن يحولون الجسد وهو رمز الحياة إلى آلة موت رهيبة، حكومتنا ذهبت إلى الحرب على الإرهاب بدلاً من أن تبحث عن أسباب المشاكل الحقيقية وفي المستقبل علينا التفكير كثيراً وإلا فسنصبح جميعاً هباءً منثورا.

ومن أقواله: الرجال لا ينضجون أبداً وغرور الذكر هو مشكلة العالم، والرجال هم خليط من أضداد الأشياء من السيئ والجيد فهم أمام النساء مشكلة لا يستطعن فهمها لمزاجهم المتقلب لكن في بعض الأحيان تصبح جذابة ومثيرة لهن.

وبقي برادبيري سنوات عديدة يعارض فكرة نشر أعماله في مشروع الكتاب الإلكتروني حيث قال: أشعر بأن الكتب الإلكترونية لها رائحة الوقود المحترق ويصف شبكة الإنترنيت بأنها مربكة وهي في مكان ما في الهواء.